
سلطان باتان
الأساطير
ARAB COMICS
عرب كومكس
www.arabcomics.net
G. SAFA
Arabcomics.net
دار
شهرزاد

الأساطير

سلطان باتان

دار شهرزاد

الطبعة الثالثة

أيَّار (مايو) ١٩٨٢

تُفّاحُ الشَّبابِ وَماءُ الْحَياة

في بَلَدٍ يَقَعُ قُرْبَ ٱلْقُطْبِ ٱلشَّمالِيِّ كانَ يَعيشُ سُلْطانٌ باتانَ ، وَهُوَ مُتَقَدِّمٌ في ٱلْعُمْرِ ، عاجِزٌ عَنِ ٱلْقِتالِ وَرُكوبِ ٱلْخَيْلِ ، ضَعيفُ ٱلْبَصَرِ حَتّى أَنَّهُ لا يَرى ما يَبْعُدُ عَنْهُ خُطواتٍ قَليلَةً . وَكانَ لَهُ ثَلاثَةُ أَوْلادٍ رَبّاهُمْ أَحْسَنَ تَرْبِيَةٍ ، وَدَرَّبَهُمْ عَلى ٱلْفُروسِيَّةِ ، وَٱقْتِحامِ ٱلْمَخاطِرِ ، فَنَشَأوا نَشْأَةَ ٱلْفُرْسانِ ٱلْمُقاتِلينَ ٱلأَشِدّاء .

سَمِعَ يَوْماً حُكَماءَ ٱلسَّلْطَنَةِ يَتَحَدَّثونَ عَنْ بُسْتانٍ في مَمْلَكَةٍ بَعيدَةٍ جِدّاً ، تَنْبُتُ فيهِ شَجَرَةُ تُفّاحٍ عَجيبَةٌ ،

إذا تناوَلَ ٱلشَّيْخُ مِنْ ثِمارِها عادَ إلى شَبابِهِ ، وَتَحْتَها بِئْرٌ مَليئَةٌ بِماءِ ٱلْحَياةِ إذا مَسَحَ ٱلْأَعْمى عَيْنَيْهِ بِهِ ٱسْتَعادَ قُوَّةَ بَصَرِهِ ، فَأَصْبَحَ قادِراً عَلى رُؤْيَةِ أَدَقِّ ٱلْأَشْياءِ وَأَصْغَرِها .

جَمَعَ ٱلسُّلْطانُ ٱلْأُمَراءَ وَزُعَماءَ ٱلْبِلادِ وَقالَ لَهُم :

— مَنْ مِنْكُمْ أَيُّها ٱلشُّجْعانُ يَذْهَبُ إلى بِلادِ ٱلْعَجائِبِ ٱلْواقِعَةِ ما وَراءَ ٱلْمَمالِكِ ٱلثَّلاثينَ لِيُحْضِرَ لي تُفّاحَ ٱلشَّبابِ وَماءَ ٱلْحَياةِ ؟ إنّي لَأُعْطيهِ مُقابِلَ عَمَلِهِ نِصْفَ أَرْزاقي وَما فيها مِنْ حُقولٍ وَبَساتينَ وَقُصورٍ وَقِلاعٍ .

ما سَمِعَ رِجالُ ٱلْمَمْلَكَةِ هٰذا ٱلْكَلامَ حَتّى أَخَذَ بَعْضُهُمْ يَخْتَبِئُ وَراءَ بَعْضٍ ، وَلَمْ يَنْبِسْ واحِدٌ مِنْهُمْ بِجَوابٍ ، وَكَأَنَّ أَقْوالَ ٱلسُّلْطانِ مُوَجَّهَةٌ إلى سِواهُم . فَتَقَدَّمَ عِنْدَئِذٍ ٱلْأَميرُ فيودور وَهُوَ ٱلْابْنُ ٱلْأَكْبَرُ وَقالَ :

— لا نُريدُ يا أَبَتِ ٱقْتِسامَ مَمْلَكَتِنا مَعَ سِوانا ،



فَتَذْهَبُ أَمْلاكُنا إلى ٱلْآخَرين . أَنا مُسْتَعِدٌّ لِلذَّهابِ في طَلَبِ تُفّاحِ ٱلشَّبابِ وَماءِ ٱلْحَياة .

ٱخْتارَ فيودور جَواداً فَتِيًّا نَشيطاً فَأَسْرَجَهُ وَأَلْجَمَهُ ، وَٱخْتارَ سَوْطاً جَديداً وَٱمْتَطى حِصانَهُ ، وَذَهَبَ في رِحْلَتِهِ ٱلطَّويلَةِ . وَقَدْ أَبْصَرَهُ ٱلْجَميعُ يَخْرُجُ مِنَ ٱلْمَدينَةِ ، وَلٰكِنَّ أَحَداً مِنْهُمْ لَمْ يَعْرِفِ ٱلِاتِّجاهَ ٱلَّذي سارَ فيه .

سارَ طولَ ٱلنَّهارِ إلى أَنْ وَصَلَ عِنْدَ مَغيبِ ٱلشَّمْسِ إلى مُفْتَرَقِ ثَلاثِ طُرُقٍ ، فَوَجَدَ هُناكَ صَخْرَةً مُسَطَّحَةً مَرْكوزَةً في ٱلْأَرْضِ وَعَلَيْها كِتابَةٌ جاءَ فيها : « إذا ٱتَّجَهْتَ يَميناً تَنْجُو ، وَلٰكِنَّكَ تُضيعُ جَوادَكَ ، وَإذا ٱتَّجَهْتَ يَساراً تَفْقِدُ جَوادَكَ ، وَتَخْسَرُ نَفْسَكَ ، وَإذا سِرْتَ في خَطٍّ مُسْتَقيمٍ تَتَزَوَّج » .

فَكَّرَ فيودور في ٱلْأَمْرِ ، ثُمَّ قَرَّرَ مُتابَعَةَ ٱلسَّيْرِ

قُدُماً في ٱلطَّريقِ ٱلمُتَوَسِّط . فَهَمَزَ حِصانَهُ وَٱنْدَفَعَ بِهِ إِلى ٱلأَمام . وَبَعْدَ مَسافَةٍ طَويلَةٍ وَصَلَ إِلى بُرْجٍ عالٍ مَسقوفٍ بِقِرْميدٍ مِنَ ٱلذَّهَبِ ، فَخَرَجَتْ مِنْهُ فَتاةٌ بارِعَةُ ٱلْجَمالِ وَسارَعَتْ لِٱسْتِقْبالِهِ قائِلَةً لَهُ :

ــ أَهْلاً بِٱبْنِ ٱلسُّلْطانِ ، تَعالَ وَٱسْتَرِحْ عِنْدي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ ..

أَجابَ فيودور :

ــ شُكْراً أَيَّتُها ٱلْجَميلَة .. لَيْسَ في وُسْعي إِضاعَةُ ٱلْوَقْتِ ، فَعَلَيَّ أَنْ أُتابِعَ ٱلسَّفَر .

ــ لا تَكُنْ عَجولاً أَيُّها ٱلأَميرُ ، فَإِنَّ ٱلطَّريقَ طَويلٌ ، وَمَقْصَدُكَ بَعيدٌ ، وَٱلرّاحَةُ ضَرورِيَّةٌ لِمَنْ يُريدُ ٱلرَّحيلَ إِلى ٱلْمَمالِكِ ٱلْقاصِيَة . وَسَتَجِدُ عِنْدي بَيْتاً أَنيساً مُريحاً .

قالَتْ هٰذا وَٱقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَأَنْزَلَتْهُ عَنْ سَرْجِ حِصانِهِ ،

وَقَدَّمتْ لَهُ ٱلْمَآكِلَ وَٱلْمَشارِبَ ، وَقادَتْهُ إِلى غُرْفَتِهِ لِيَنام . فَمَا كادَ يَتَمَدَّدُ فِي ٱلسَّريرِ حَتَّى ٱنْقَلَبَ بِهِ ، وَٱنْفَتَحَتِ ٱلْأَرْضُ وَسَقَطَ فِي قَبْوٍ مُظْلِمٍ .

رِحْلَةُ ٱلْأَميرِ فاسيليف

مَرَّ زَمَنٌ ما سَمِعَ ٱلسُّلْطانُ بِنَبإٍ عَنِ ٱبْنِهِ ٱلْبِكْرِ ٱلْمُسافِرِ ، فَدَعا أُمَراءَ مَمْلَكَتِهِ وَقُوّادَها وَزُعَماءَها وَقالَ لَهُمْ :

— مَنْ مِنْكُمْ يَجِئْني بِتُفّاحِ ٱلشَّبابِ وَماءِ ٱلْحَياةِ أُعْطِهِ نِصْفَ مَمْلَكَتي ...

حَدَثَ ما تَمَّ في ٱلْمَرَّةِ ٱلْأُولى ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْ أَحَدٌ ، بَلْ أَخَذَ بَعْضُهُمْ يَخْتَبِئُ وَراءَ بَعْضٍ ، فَمَا كانَ مِنَ ٱلْأَميرِ ٱلْأَوْسَطِ فاسيليف إِلّا أَنْ دَنا مِنْ والِدِهِ ، وَعَرَضَ عَلَيْهِ ٱلْقِيامَ بِٱلْمُهِمَّةِ . وَٱخْتارَ جَواداً نَشيطاً فَتِيًّا ، وَأَلْجَمَهُ



بِلِجامٍ جَديدٍ ، وَأَخَذَ سَوْطاً جَديداً أَيْضاً ، وَخَرَجَ مِنَ ٱلْمَدينَةِ ساعِياً وَراءَ غايَتِه . وَقَدْ رَآهُ ٱلنّاسُ يَمُرُّ أَمامَهُمْ ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفوا ٱلِاتِّجاهَ ٱلَّذي سارَ فيهِ .

لَمّا وَصَلَ إِلى مَفْرَقِ ٱلطُّرُقِ ٱلثَّلاثِ حَيْثُ توجَدُ ٱلصَّخْرَةُ ٱلْمُسَطَّحَةُ قَرَأَ ما عَلَيْها مِنْ كِتابَةٍ ، وَفَكَّرَ في ٱلْأَمْرِ طَويلاً ، ثُمَّ تابَعَ سَيْرَهُ لا يَحيدُ يَميناً وَلا شِمالاً .

وَما تَقَدَّمَ في سَيْرِهِ حَتّى وَصَلَ إِلى ٱلْبُرْجِ ذي ٱلسَّقْفِ ٱلذَّهَبِيِّ ، وَأَسْرَعَتِ ٱلْفَتاةُ ٱلْبارِعَةُ ٱلْجَمالِ وَٱعْتَرَضَتْهُ قائِلَةً :

ــ لا تُعَجِّلْ يا ٱبْنَ ٱلسُّلْطان . إِنْزِلْ في ضِيافَتي ..

وَشَدَّتْهُ مِنَ ٱلسَّرْجِ وَأَنْزَلَتْهُ عَنْ ظَهْرِ جَوادِهِ ، وَقادَتْهُ إِلى دارِها وَقَدَّمَتْ لَهُ طَعاماً شَهِيًّا وَشَراباً لَذيذاً ، وَذَهَبَتْ بِهِ إِلى غُرْفَةِ ٱلنَّوْمِ ، فَما كادَ يَسْتَلْقي عَلى ٱلسَّريرِ حَتّى ٱنْقَلَبَ بِهِ ، وَسَقَطَ إِلى أَعْماقِ قَبْوٍ مُظْلِمٍ . وَإِذا بِهِ

يَسْمَعُ صَوْتاً يَقول :

ـــ مَنْ أَنتَ ؟

ـــ الأَميرُ فاسيليف .. وَمَنْ أَنْتَ ؟

ـــ الأَميرُ فِيودور ..

ـــ أَتَرى يا أَخي .. إِنَّنا قَدْ وَقَعْنا في فَخِّ هٰذِهِ ٱلْفَتاةِ ٱلْماكِرَةِ ، فَكَيْفَ نَخْرُجُ مِنْ هٰذا ٱلْقَبْوِ ٱللَّعين ؟

رِحْلَةُ ٱلْأَمير ايفان

مَرَّ زَمَنٌ وَما رَجَعَ ٱلْأَميرانِ إِلى والِدِهِما ، فَجَمَعَ ٱلسُّلْطانُ عُظَماءَ ٱلدَّوْلَةِ وَقُوّادَها وَشُجْعانَها ، وَطَرَحَ عَلَيْهِمُ ٱلسُّؤالَ ٱلْمَعْهودَ ، وَوَعَدَ مَنْ يُحَقِّقُ رَغْبَتَهُ بِإِعْطائِهِ نِصْفَ مَمْلَكَتِهِ ، فَما جَرُؤَ واحِدٌ مِنْهُمْ عَلى ٱلْمُغامَرَةِ بِنَفْسِهِ ، وَإِذا بِإِيفان الأَميرِ ٱلْأَصْغَرِ يَتَقَدَّمُ مِنْ والِدِهِ وَيَقول :

— إمْنَحْني بَرَكَتَكَ يا أَبَتِ .. فَإِنّي مُزْمِعٌ عَلى ٱلذَّهابِ في هٰذِهِ ٱلرِّحْلَةِ ٱلْخَطِرَةِ فَأَجْتازُ ٱلْجِبالَ وَٱلسُّهولَ وَٱلأَوْدِيَةَ وَٱلْمَمالِكَ لِأَحْمِلَ إِلَيْكَ تُفّاحَ ٱلشَّبابِ وَماءَ ٱلْحَياةِ ، وَلآتِيَكَ أَيْضاً بِأَخَوَيَّ ٱلضّائِعَيْنِ .

بَعْدَ أَنْ تَزَوَّدَ بِرِضا أَبيهِ ذَهَبَ إِلى ٱلإِسْطَبْلِ لِيَخْتارَ جَواداً يَمْتَطيهِ في رِحْلَتِهِ ، فَلَمْ يُرْضِهِ واحِدٌ مِمّا فيهِ ، فَخَرَجَ إِلى ساحَةِ ٱلْقَصْرِ حَزيناً فَٱلْتَقَتْهُ خادِمَتُهُ ٱلْعَجوزُ وَقالَتْ لَهُ :

— صَباحَ ٱلْخَيْرِ أَيُّها ٱلأَميرُ .. ما لي أَراكَ مُقَطَّبَ ٱلْوَجْهِ ؟

— لِأَنّي لَمْ أَجِدْ بَيْنَ ٱلْخُيولِ ٱلَّتي تَمْلأُ ٱلإِسْطَبْلَ جَواداً واحِداً قادِراً عَلى مُرافَقَتي في رِحْلَتي ٱلطَّويلَةِ .

— كانَ عَلَيْكَ أَنْ تَسْأَلَني لِأَدُلَّكَ عَلى ما تُريدُ .



إِذْهَبْ إِلى ٱلْقَبْوِ . فَهُناكَ جَـوادٌ حَرونٌ مَرْبوطٌ بِسِلْسِلَةٍ حَديدِيَّةٍ ، فَإِذا قَدِرْتَ عَلى ٱلِاقْتِرابِ مِنْهُ وَٱلْأَخْذِ بِلِجامِهِ تَجِدْهُ أَفْضَلَ جَوادٍ في ٱلْعالَمِ .

ذَهَبَ إِلى ٱلْقَبْوِ وَفَتَحَ بابَـهُ فَرَأى ٱلْجَـوادَ يُحَمْحِمُ وَكَأَنَّهُ قُنْبُلَةٌ قُبَيْلَ ٱنْفِجارِها فَقَفَزَ دُفْعَةً واحِـدَةً فَإِذا بِهِ عَلى ظَهْرِهِ ، فَصَهَلَ وَضَرَبَ ٱلْأَرْضَ بِحَوافِرِهِ ، وَرَفَسَ ، ثُمَّ ٱسْتَكانَ وَكَأَنَّهُ نَعْجَةٌ وَديعَةٌ . وَٱقْتَطَعَ سِلْسِلَتَهُ وَٱنْدَفَعَ إِلى ٱلسّاحَةِ وَعَلى ظَهْرِهِ ٱلْأَميرُ ايفان ، وَأَخَذَ يَعْدو بِهِ مُخْتَرِقاً ٱلْمَدينَةَ . وَقَـدْ رَآهُ ٱلنّاسُ يَمُرُّ في ٱلشَّوارِعِ بِسُرْعَةٍ ، وَلٰكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفوا بِدِقَّةٍ ٱلِاتِّجاهَ ٱلَّذي سارَ فيهِ .

الساحِرَةُ بابا ياغا

لَمّا وَصَلَ ٱلْأَميرُ إِلى مَفْرَقِ ٱلطُّرُقِ تَوَقَّفَ مُفَكِّراً قائِلاً

في نفسِهِ :

ـــ إذا ذَهبتُ يميناً أخسرُ جوادي .. وإذا فقدْتُهُ فما أنا فاعِلٌ بدونِـــهِ ؟ وإذَا اتّجهْتُ في الطّريقِ المُتوسِّطةِ أتزوّج .. ولَستُ أريدُ هذا في رِحْلتي . أمّا إذا اتّبعْتُ الطّريقَ الأيسَرَ فأُنقِذُ حِصاني .. ففي هذا الاتّجاهِ أسير .

وهكذا مضى مُسرِعاً في الطّريقِ الّتي اختارَها مُجتازاً السُّهولَ والجِبالَ إلى أنْ مالت الشّمْسُ نحْوَ المَغيبِ ، غامِرةً الأُفقَ بأشِعّةٍ حَمْراء ، فبَدا كأنّهُ بُحَيْرَةٌ مِنْ دِماء . ووَصلَ إلى كوخٍ قائِمٍ على أعْمِدَةٍ مُرْتفِعَةٍ فصاحَ بِأعْلى صَوْتِهِ :

ـــ أيُّها الكوخُ ، أدِرْ ظَهْرَكَ إلى الغـــابَةِ وَوَجْهَكَ نحْوي لِكَي يَتَيَسّرَ لي الخُروجُ مِنْكَ بَعْدَ دُخولي إلَيْكَ .

دارَ الكـــوخُ على نَفْسِهِ ، واجْتازَ ايفان بابَهُ فوَجَدَ فيهِ السّاحِرَةَ العَجوزَ بابا ياغا تَغزِلُ الصّوفَ فصاحَتْ بِهِ :

— أيُّ إنسانٍ أنتَ يا رجل ؟ أتفاجئني في منزلي بلا ٱستئذان ؟ ستدفعُ ثمنَ وقاحتك .

فقالَ لها والغضبُ بادٍ في عينيه :

— إنكِ تفكرين بأكلِ الطائرِ قبلَ صيدِهِ أيتُها العجوزُ الحقيرةُ الكريهة . حضّري لي طعاماً وشراباً وفراشاً، ثمَّ بعدَ ذلكَ أتحدثُ إليكِ .

تبيَّنَ العزمُ في كلامِ الأميرِ ولهجتِهِ ، والقوةُ في سلاحِهِ وعضلاتِهِ . فخافتْ منهُ وٱمتثلتْ لأمرِهِ ، وأعدَّتْ لهُ ما طلبَ ، ثمَّ سألتهُ متلطِّفةً :

— مَنْ أنتَ يا بنيّ ؟ مِنْ أينَ جئتَ ؟ أصدِقني خبرَك ..

— أنا الأمير ايفان ٱبنُ سلطانِ باتانَ ، وعليَّ أنْ أجتازَ ثلاثينَ مملكةً لأُحضِرَ تفاحَ الشَّبابِ وماءَ الحياةِ لأبي .



— مَقْصَدُكَ بَعيدٌ يا بُنَيّ ، لأَنَّكَ لا تَجِدُ ما تُريدُ إلاّ في بَلَدٍ تَحْكُمُهُ إِحْدى قَريباتي ٱلْأَميرَةُ صاحِبَةُ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْخَضْراوَيْنِ ، وَلَسْتُ مُتأَكِّدَةً مِنْ أَنَّكَ تَنْجَحُ في مُهِمَّتِكَ.

— أَلَيْسَ في وُسْعِكِ يا جَدَّتي أَنْ تَقْرُني حِكْمَتَكِ بِقُوَّتي فَأُوَفَّقَ في مُهِمَّتي ؟

— فِتْيانٌ كُثْرٌ قَبْلَكَ مَرّوا بي وَهُمْ في طَريقِهِمْ إلى تُفّاحِ ٱلشَّبابِ وَماءِ ٱلْحَياةِ ، وَلٰكِنِّي لَمْ أَرَ واحِداً قَدْ عادَ سالِماً مِنْ مُغامَرَتِهِ . وَما تَصَرَّفَ واحِدٌ مِنْهُمْ مَعي بِهٰذا ٱلتَّهْذيب . خُذْ جَوادي يا بُنَيّ ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ جَوادِكَ فَيَحْمِلَكَ إلى أُخْتي ٱلَّتي تُشيرُ عَلَيْكَ بِما تَفْعَلُ .

بابا ياغا ٱلثّانِيَة

في ٱلصَّباحِ ٱلْباكِرِ ٱسْتَيْقَظَ ايفان ، وَٱغْتَسَلَ بِعِنايَةٍ ،

وَشَكَرَ لِلسَّاحِرَةِ ضِيافَتَها ، وَٱنطَلَقَ مُسافِراً عَلى ظَهْرِ جَوادِهِ ٱلْجَديدِ يُسابِقُ ٱلرِّيحَ في سُرْعَتِهِ . وَفي ٱلطَّريقِ طَلَبَ ٱلأَميرُ مِنْ حِصانِهِ ٱلتَّوَقُّفَ لِأَنَّهُ أَضاعَ أَحَدَ قُفّازَيْهِ

فَأَجابَه :

ـ مُنْذُ تَلَفُّظِكَ بِكَلامِكَ أَجْتَزْتُ بِكَ ثَمانِينَ ميلاً ، فَكَيْفَ أَعودُ إِلى ٱلْوَراء .

قالَ هٰذا وَتابَعَ عَدْوَهُ ، قاطِعاً ٱلسُّهولَ وَٱلْجِبالَ وَٱلأَوْدِيَةَ وَٱلْبُحَيْراتِ إِلى أَنْ مالَتِ ٱلشَّمْسُ إِلى ٱلْغُروب . فَرَأَى ايفان كُوخاً قائِماً عَلى أَعْمِدَةٍ مُرْتَفِعَةٍ ، فَتَوَقَّفَ عِنْدَهُ وَقال :

ـ أَيُّها ٱلْكوخ .. أَدِرْ ظَهْرَكَ إِلى ٱلْغابَةِ وَوَجْهَكَ نَحْوي لِكَيْ يَتَيَسَّرَ لي ٱلْخُروجُ مِنْكَ بَعْدَ دُخولي إِلَيْك .

فَدارَ ٱلْكوخُ عَلى نَفْسِهِ ، وَسَمِعَ فَجْأَةً صَهيلَ حِصانٍ

رَدَّ عَلَيْهِ حِصانُهُ لِأَنَّ ٱلحِصانَيْنِ مِنْ أُمٍّ واحِدَة . وَلَمَّا وَقَعَ ٱلصَّوْتُ في أُذُنِ ٱلسَّاحِرَةِ بابا ياغا ٱلثَّانِيَةِ ، وَكانَتْ أَكْبَرَ سِنّاً مِنْ أُخْتِها ، ظَنَّتْ أَنَّ أَحَدَ أَفْرادِ أُسْرَتِها جاءَ زائِراً فَفَتَحَتِ ٱلبابَ وَإِذا بِإِيفان يَدْخُلُ ٱلكوخَ فَجْأَةً فَتَصيحُ بِهِ :

— أَيُّ إِنْسانٍ أَنْتَ يا رَجُل ؟ أَتُفاجِئُني في مَنْزِلي بِلا ٱسْتِئْذان ؟ سَتَدْفَعُ ثَمَنَ وَقاحَتِكَ غالِياً .

فَصاحَ بِها غاضِباً وَٱلشَّرَرُ يَتَطايَرُ مِنْ عَيْنَيْه .

— عامِلي ٱلنَّاسَ بِٱحْتِرامٍ أَيَّتُها ٱلعَجوزُ ٱلثَّرْثارَة. أَعِدّي لي طَعاماً وَشَراباً وَفِراشاً ، وَلِجَوادي تِبْناً وَشَعيراً وَلا تُضَيِّعي وَقْتَكِ بِٱلكَلامِ ٱلسَّخيف .

ٱمْتَثَلَتِ ٱلسَّاحِرَةُ لِأَمْرِهِ ، وَنَفَّذَتْ كُلَّ ما طَلَبَهِ مِنْها ، ثُمَّ سَأَلَتْهُ عَمَّنْ هُوَ ، وَإِلى أَيْنَ هُوَ مُسافِرٌ فَقالَ لَها :

ـــ أنا ٱلْأميرُ ايفان ، ٱبْنُ سُلْطان باتان ، ومُتوَجِّـــهٌ إلى بِلادِ ٱلْأَميرَةِ ذاتِ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْخَضراوَيْنِ لِأُحضِرَ لِأَبي تُفّاحَ ٱلشَّبابِ وَماءَ ٱلْحَيـاة .

ـــ لَسْتُ مُتَأَكِّدَةً ، يا بُنَيَّ ، مِنْ نَجاحِكَ في مُهِمَّتِكَ ، لِأَنَّ بُلوغَ تِلْكَ ٱلْبِلادِ أَمْرٌ عَسيرٌ جِدًّا .

ـــ إذا ساعَدْتِني بِحِكْمَتِكِ يا جَدَّتي أَفوزُ بِلا شَكٍّ .

ـــ مَرَّ بي كَثيرٌ مِنَ ٱلفِتْيانِ قَبْلَكَ ، وَما رَجَعَ واحِدٌ مِنْهُمْ ، وَما وَجَدْتُ بَيْنَهُمْ مَنْ يُماثِلُكَ تَهْذيباً . خُذْ جَوادي وَٱذْهَبْ إلى أُخْتي ٱلْكُبْرى فَهِيَ وَحْدَها قادِرَةٌ على إرْشادِكَ أَكْثَرَ مِنّي .

بابا ياغا ٱلثّالِثَة

في ٱلصَّباحِ ٱلْباكِرِ شَكَرَ ايفان لِلْعَجوزِ حُسْنَ ضِيافَتِها

وودّعها ، وامتطى جوادها ، وهو أسرع من السابق ، وأخذ يجتاز به السهول . وفي أثناء الطريق قال له ايفان :

— توقّف لأني أضعت قفازي الآخر .

أجابه الجواد :

— كيف أتوقّف وقد اجتزت بك منذ تلفظك بكلامك مئة وخمسين ميلاً ؟

الحكاية تروى في وقت قصير ، ولكن السفر يقتضي زمناً طويلاً جداً . فقد عدا الحصان بالأمير عدواً لا مثيل له في سرعته طول النهار ، إلى أن مالت الشمس إلى الغياب فوصل قرب كوخ قائم على أعمدة مرتفعة فقال له :

— أيها الكوخ .. أدر ظهرك إلى الغابة ووجهك إليّ حتى إذا دخلتك تيسّر لي الخروج منك بسهولة .

استدارَ ٱلكوخُ على نفسِهِ ، وسَمِعَ ٱلأميرُ صهيلاً فردَّ عليْهِ جوادُهُ بصهيلٍ مُشابهٍ لَهُ ، لِأَنَّ ٱلجوادَيْنِ مِنْ أُمٍّ واحِدَةٍ . وبَرَزَتْ عِنْدَ ٱلبابِ ٱلسَّاحِرَةُ بابا ياغا ٱلثَّالِثَةُ ، وهِيَ أَكْبَرُ سِنّاً مِنْ أُخْتَيْها ، فرأَتِ فتى غريباً يَمْتَطي جوادَ أُخْتِها ، فحَيَّاها ، وطَلَبَ مِنْها ٱسْتِضافَتَهُ عِنْدَها ، فَأَذِنَتْ لَهُ بِٱلدُّخولِ ، وأَعَدَّتْ لَهُ طَعاماً وشَراباً وفِراشاً لَيِّناً ، وعَرَّفَها بِنَفْسِهِ قائِلاً :

ــ أنا ٱلأميرُ ايفان ٱبْنُ سُلْطانِ باتان . لَقيتُ أُخْتَكِ ٱلصُّغْرى فَأَرْسَلَتْني إلى أُخْتِكِ ٱلوُسْطى ، وهِيَ ٱلَّتي دَلَّتْني عَلَيْكِ . غايَتي أَنْ تُساعِديني فَتُضيفي حِكْمَتَكِ إلى قُوَّتي لِأَحْصَلَ على ماءِ ٱلحَياةِ وتُفّاحِ ٱلشَّبابِ مِنَ ٱلأميرَةِ ذاتِ ٱلعَيْنَيْنِ ٱلخَضْراوَيْنِ لِأَعودَ مِنْ بَعْدُ إلى والِدي .

قالَتِ ٱلسَّاحِرَةُ ٱلعَجوز :

ــ لِيَكُنْ ما تُرِيدُ أَيُّها ٱلْأَمير . إِنَّ ٱلْأَميرَةَ ذاتَ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْخَضْراوَيْنِ هِيَ إِحْدى قَريباتي ، وَهِـــيَ فارِسَةٌ مُحارِبَةٌ ، لَيْسَ في ٱلْأَرْضِ كُلِّها أَرْوَعُ مِنْها جَمالاً وَأَقْوى سِلاحاً ، وَأَشْجَعُ قَلْباً . يُحيـــطُ بِعاصِمَتِها سورٌ مِنْ سِتَّةِ أَمْتارٍ اِرْتِفاعاً وَمِتْرَيْنِ عَرْضاً ، وَيَحْميها عَدَدٌ كَبيرٌ مِنَ ٱلْفارِساتِ ٱلْباسِلاتِ ، فَعَلَيْكَ بِدُخولِ ٱلْمَدينَـــةِ في ٱلظَّلامِ ٱلدَّامِسِ مُمْتَطِياً جَوادي . فَإِذا أَوْصَلَكَ إِلى ٱلسّورِ اُضْرِبْهُ بِسَوْطٍ جَديدٍ ما ٱسْتُعْمِلَ مِنْ قَبْلُ فَيَجْتَزْ بِكَ السّورَ ، وَعِنْدَئِذٍ ٱرْبِطْهُ وَٱدْخُلْ بُسْتانَ ٱلْقَصْرِ حَيْثُ تَجِدُ شَجَرَةَ تُفّاحٍ مَليئَةً بِٱلثِّمارِ وَتَحْتَها بِئْرٌ . فَٱقْطِفْ ثَـلاثَ تُفّاحاتٍ لا أَكْثَرَ وَلا أَقَلَّ ، وَٱسْحَبْ مِنَ ٱلْبِئْرِ إِبْريقَ ماءٍ . وَتَكونُ ٱلْأَميرَةُ ذاتُ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْخَضْراوَيْنِ نائِمَةً في غُرْفَتِها ، فَلا تَذْهَبْ إِلَيْها ، بَلِ ٱمْتَطِ جَوادي وَٱضْرِبْهُ بِٱلسَّوْطِ فَيَجْتَزْ بِكَ ٱلسّورَ .

تَجاوُزُ ٱلسّور

لَمْ يَتَوَقَّفْ ايفان طَويلاً عِنْدَ ٱلسّاحِرَةِ ٱلعَجوزِ ، بَلِ ٱنطَلَقَ يَعْدو بِأَقصى سُرْعَتِهِ ، حَتّى إذا حانَ مُنْتَصَفُ ٱللَّيْلِ بَلَغَ ٱلسّورَ ٱلعالي ، فَضَرَبَ جَوادَهُ فَقَفَزَ مِنْ فَوْقِهِ مُجتازاً إلى ٱلجانِبِ ٱلآخَرِ . وَما أَصْبَحَ في ٱلدّاخِلِ حَتّى تَرَجَّلَ وَدَخَلَ ٱلبُسْتانَ وَقَطَفَ ثَلاثَ تُفّاحاتٍ ، وَمَلأَ إِبْرِيقاً بِماءِ ٱلحَياةِ . وَلٰكِنَّهُ تَمَنّى ، مِنْ أَعْماقِ قَلْبِهِ ، رُؤْيَةَ وَجْهِ ٱلأَميرَةِ ذاتِ ٱلعَيْنَيْنِ ٱلخَضْراوَيْنِ . وَٱشْتَدَّ بِهِ ٱلشَّوْقُ إِلَيْها بِحَيْثُ لَمْ يَقْوَ عَلى مُقاوَمَةِ رَغْبَتِهِ . فَدَخَلَ غُرْفَتَها وَوَجَدَها نائِمَةً في سَريرٍ كَبيرٍ ، وَإلى يَمينِ ٱلغُرْفَةِ سِتُّ فَتَياتٍ فارِساتٍ ، وَإلى ٱليَسارِ سِتٌّ أُخْرَياتٌ ، وَكُلُّهُنَّ نائِماتٌ . وَتَأَمَّلَ في وَجْهِها ٱلجَميلِ وَجَبينِها ٱلَّذي يَشِعُّ كَقِطْعَةٍ مِنَ ٱلبِلَّوْرِ . وَرَجَعَ مِنْ حَيْثُ جاءَ ، وَٱمْتَطى

ظَهْرَ جَوادِهِ ، فَإِذا بِٱلْحَيوانِ يَقولُ لَهُ :

ـــ لَقَدْ عَصَيْتَ ٱلْأَمْرَ يا ايفان ، وَأَصْبَحْتُ أَنا عاجِزاً عَنِ ٱلْقَفْزِ بِكَ مِنْ فَوْقِ ٱلسّورِ .

صاحَ بِهِ ٱلْأَميرُ وَهُوَ يَضْرِبُهُ بِٱلسَّوْطِ وَٱلْمِهْمازِ قائِلاً :

ـــ أَيُّها ٱلْجَوادُ ٱلْحَقيرُ ، يا كيسَ ٱلتِّبْنِ ، إِذا قُبِضَ عَلَيْنا كانَ ٱلْمَوْتُ جَزاءَنا .

اِنْدَفَعَ ٱلْجَوادُ بِأَقْصى سُرْعَتِهِ ، وَأَعْنَفِ قُوَّتِهِ ، وَقَفَزَ مِنْ فَوْقِ ٱلسّورِ . وَلٰكِنَّ حَوافِرَهُ ٱصْطَدَمَتْ بِأَعْلى ٱلسّورِ ، فَحَرَّكَتْ حَبْلاً مَرْبوطاً بِأَجْراسِ ٱلْإِنْذارِ ، فَٱنْطَلَقَتْ مُجَلْجِلَةً . وَٱسْتَيْقَظَتِ ٱلْأَميرَةُ ذاتُ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْخَضْراوَيْنِ مَذْعورَةً عَلى تُفّاحاتِها وَصاحَتْ بِأَعْلى صَوْتِها :

ـــ نَحْنُ في خَطَرٍ شَديدٍ .. إِلى ٱلسِّلاحِ ، إِلى ٱلسِّلاحِ .. قَدْ سَطا لِصٌّ عَلى ٱلْجُنَيْنَةِ وَسَرَقَ ثِمارَ ٱلتُّفّاحِ .

اضطَجَبَتْ مَعَها ٱلفَتَياتِ وَأَسْرَعَتْ تُطارِدُ ايفان خارِجَ مَدينَتِها ، سائِرَةً في ٱلطَّريقِ ٱلَّتي أَتَبَعَها في هَرَبِه .

المُطارَدَة

لَمَّا وَصَلَتْ إلى كوخِ ٱلسّاحِرَةِ ٱلعَجوزِ بابا ياغا ٱلثَّالِثَةِ كانَ ٱلْأَميرُ في ٱلْإِسْطَبْلِ يُبَدِّلُ ٱلْجَوادَ بِآخر . فَقـالَتِ ٱلأَميرَة :

ــ أَرَأَيْتِ يا جَدَّتي فَتى يَمُرُّ بِكِ وَهُوَ يَرْكَبُ جَواداً ؟

ــ كَلاّ يا بُنَيَّتي .. لَدَيْكِ مُتَّسَعٌ مِنَ ٱلْوَقْتِ ، أُدْخُلي كوخي وَٱشْرَبي كوباً مِنَ ٱللَّبَنِ مَعَ رَفيقـاتِكِ ٱلْمُحارِبات .

ــ يَطولُ ٱلْأَمْرُ لِحَلْبِ ٱلبَقَرَة .

ــ أُعِدُّ لَكُنَّ ٱلحَليبَ في أَسْرَعِ وَقْت .

أَخَـذَتِ ٱلسّاحِرَةُ بِحَلْبِ ٱلبَقَرَةِ مُتَمَهِّلَةً ، وَشَرِبَتِ

ٱلْأَميرَةُ ورَفيقاتُها أَكْوابَ ٱلْحَليبِ بَيْنا كانَ ايفان يَنْطَلِقُ مِنْ جَديدٍ ويَصِلُ إِلى بَيْتِ بابا ياغا ٱلثّانِيَةِ ، ويَدْخُلُ ٱلْإِسْطَبْلَ لِيُبَدِّلَ جَوادَه .

ولَمّا خَرَجَ لِيَسْتَأْنِفَ هَرَبَهُ كانَتِ ٱلْأَميرَةُ ذاتُ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْخَضْراوَيْنِ قَدْ دَخَلَتِ ٱلْكوخَ قائِلَةً لِلسّاحِرَةِ :

ــ أَرَأَيْتِ يا جَدَّتي فارِساً يَمُرُّ بِكِ ؟

ــ كَلّا يا بُنَيَّتي .. أَنْتِ تَعِبَةٌ ، وأَنا أُجيدُ صُنْعَ حَلْوى ٱللَّوْزِ ، فَلِمَ لا تَسْتَريحينَ قَليلاً وتَأْكُلينَ مِنْها ؟

ــ إِنَّ إِعْدادَها يَتَطَلَّبُ وَقْتاً طَويلاً .

ــ أُعَجِّلُ في صُنْعِها .

أَخَذَتِ ٱلْعَجوزُ بابا ياغا ٱلثّانِيَةُ تَعْجُنُ ٱللَّوْزَ بِٱلزُّبْدَةِ وَٱلسُّكَّرِ وتَتَمَهَّلُ في عَمَلِها ، وأَدْخَلَتْ قالَبَ ٱلْحَلْوى في ٱلْفُرْنِ وطَهَتْهُ ، وقَدَّمَتْهُ إِلى ٱلْأَميرَةِ ورَفيقاتِها ٱلْمُسَلَّحاتِ ،

فَأَكَلْنَ مِنْهُ وَشَكَرْنَها عَلى ضِيافَتِها وَرَكِبْنَ جِيادَهُنَّ وَتابَعْنَ طَرِيقَهُنَّ . في هذِهِ ٱلْأَثْناءِ كانَ ايفان قَدْ وَصَلَ إِلى بابا ياغا ٱلْأُولى وَٱسْتَعادَ جَوادَهُ ٱلْأَصْلِيَّ وَٱنْصَرَفَ .

وَصَلَتِ ٱلْأَميرَةُ إِلى كوخِ ٱلسّاحِرَةِ وَسَأَلَتْها ما سَأَلَتْ أُخْتَيْها فَأَجابَتْها :

ـ لَمْ أَرَ أَحَداً يا بُنَيَّتي . إِسْتَريحي قَليلاً مَعَ رَفيقاتِكِ ، فَإِنَّ ٱلْغُبارَ قَدْ مَلَأَ شَعْرَكُنَّ ، وَغَطّى وُجوهَكُنَّ ٱلْجَميلَة . ما رَأْيُكِ في حَمّام ؟ تَغْتَسِلينَ وَتَسْتَعيدينَ نَشاطَكِ وَتُتابِعينَ سَفَرَكِ ..

ـ إِنَّ ٱلْحَمّامَ بارِدٌ يا جَدَّتي ، وَإِحْماؤُهُ يَتَطَلَّبُ وَقْتاً طَويلاً .

ـ لا عَلَيْكِ .. سَأُسْرِعُ في إِشْعالِ ٱلنّارِ وَتَسْخينِ ٱلْماء .

قامَتِ ٱلعجوزُ ٱلسَّاحِرَةُ إلى ٱلْحَمامِ فَأَخذَتْ تُطْعِمُهُ ٱلْحَطَبَ ، وَلَكِنَّها كانَتْ تَعْمَلُ بِبُطْءٍ شَديدٍ حَتّى مَرَّتْ ساعاتٌ ، فَٱسْتَحَمَّتِ ٱلْأَميرَةُ وَرَفيقاتُها وَتابَعْنَ ٱلسَّيْرَ لِلّحاقِ بِٱلْهارِبِ ×

اللَّحاقُ بِإيفان

كُنَّ أَسْرَعَ عَدْواً مِنْهُ ، فَلَحِقْنَ بِهِ ، فَلَمّا أَحسَّ بِدُنُوِّهِنَّ خَفَّفَ مِنْ سُرْعَتِهِ حَتّى وَصَلَتِ ٱلْأَميرَةُ إلى قُرْبِهِ وصاحَتْ بِهِ :

× — أَيُّها ٱللِّصُّ ٱلْخَبيثُ ، لَقَدْ دَخَلْتَ قَصْري بِلا إِذْنٍ مِنّي ، وَسَرَقْتَ تُفّاحاتي وَماءَ بِئْري ..

أَجابَها ايفان بِأَعْصابٍ هادِئَة :

— تَقولينَ ٱلْحَقيقَةَ يا سَيِّدَتي .. إذا شِئْتِ ٱلْقِتالَ

ٱبْتَعِدي عَنّي خَمْسَةَ أَمْتارٍ ، وَأَبْتَعِدُ عَنْكِ خَمْسَةَ أُخْرى ، ثُمَّ نَبْدَأُ ٱلْمُبارَزَةَ عَلى ٱلْجَوادَيْن .

دارَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ بَيْنَهُما عَنيفَةً مُنْهِكَةً ، لا مَثيلَ لَها في شِدَّتِها . وَٱلْتَحَمَ ٱلرُّمْحانِ وَٱلسَّيْفانِ مَرّاتٍ وَمَرّاتٍ ، وَحاوَلَ كُلٌّ مِنْهُما إِسْقاطَ غَريمِهِ عَلى ٱلْأَرْضِ فَلَمْ يُفْلِحْ . ثُمَّ تَرَجَّلا وَٱلْتَحَما وَجْهاً لِوَجْهٍ وَيَداً بِيَدٍ ، وَطالَتِ ٱلْمَعْرَكَةُ ٱلنَّهارَ كُلَّهُ ، وَعَلا ٱلْغُبارُ حَوْلَهُما ، وَسالَ ٱلْعَرَقُ مِنْهُما غَزيراً .

بَيْنَا ايفان يُهاجِمُ وَيَرْتَدُّ عَنِ ٱلْأَميرَةِ تَعَثَّرَتْ قَدَمُهُ فَوَقَعَ أَرْضاً ، فَٱقْتَرَبَتْ مِنْهُ ، وَٱنْحَنَتْ عَلَيْهِ لِتَطْعَنَهُ بِخَنْجَرِها في قَلْبِهِ ، فَأَمْسَكَ بِيَدِها وَقالَ لَها :

ــ لا تَقْتُليني .. ما قُمْتُ بِرِحْلَتِي ٱلْخَطِرَةِ إِلّا في سَبيلِ والِدي ٱلْعَجوزِ ٱلضَّعيفِ ٱلْبَصَرِ سُلْطانِ باتان . إِنَّكِ

لشُجاعَةْ ، ما رَأَيتُ في حَيــاتي مِثْلَكِ بَسالَةً وَقُوَّةً ، فَالْخَيْرُ ، كُلُّ ٱلْخَيْرِ ، أَنْ نَتَّفِقَ مَعاً وَأَنْ تُصْبِحي زَوْجَةً لي ، فَنُرْزَقَ بِأَوْلادٍ بَواسِلَ ..

وَهٰذا ما حَدَثَ بِٱلْفِعْلِ ، فَقَدْ تَمَّ ٱلِاتِّفاقُ عَلى أَنْ تَعودَ ٱلْأَميرَةُ ذاتُ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْخَضْراوَيْنِ إِلى بِلادِهــا ، وَتُرَتِّبَ أُمورَ مَمْلَكَتِها ، ثُمَّ تَلْحَقَ بِــهِ لِيَتِمَّ ٱلْاحْتِفالُ بِزَواجِهِما في سَلْطَنَةِ بابان . وَوَدَّعَتْهُ وَرَجَعَتْ مَعَ رَفيقاتِها عَلى أَمَلِ ٱللِّقاءِ بَعْدَ مُرورِ عامَيْنِ .

ايفان في نَجْدَةِ أَخَوَيْه

لَمّا وَصَلَ ٱلْأَميرُ إيفان إِلى مَفْرِقِ ٱلطُّرُقِ تَوَقَّفَ قَليلاً وَقالَ في نَفْسِهِ :

ـــ لا شَكَّ في أَنَّ أَخَوَيَّ قَدْ سارا في ٱلطَّريقِ ٱلْمُؤَدِّيَةِ

إلى ٱلزَّواجِ ، فَلأَسِرْ فيها لَعَلّي أَجِدُهُما فَأعـود بِهِما إلى والدي .

ما بَلَغَ ٱلبُرْجَ ذا ٱلسَّقْفِ ٱلذَّهَبِيِّ حَتَّى أَخَـذَ جَوادُهُ بِالصَّهيلِ فَإِذا بِجوادَيْ أَخَوَيْهِ يَصْهَلانِ بِدَوْرِهِما ، فَعَرَفَ أَنَّ فيودور وَفاسيليف مَوْجودانِ في ٱلْبُرْجِ ، فَـدَقَّ على ٱلْبابِ وَأَقْبَلَتِ ٱلْفَتاةُ لِمُلاقاتِهِ وَقالَتْ لَهُ :

ـ هٰذا أَنْتَ أَيُّها ٱلأَمير إيفـان .. إِنّي في ٱنْتِظارِكَ مُنْذُ زَمَنٍ بَعيد . سَتَكونُ في ضِيافَتي هٰذِهِ ٱللَّيْلَةَ .

أَدْخَلَتْهُ ٱلْبُرْجَ ، وَقَدَّمَتْ لَهُ طَعاماً شَهِيًّا وَشَراباً لَذيذاً . وَلٰكِنَّ ٱلأَميرَ رَفَضَ تَناوُلَ أَيِّ شَيْءٍ مِنَ ٱلْمائِدَةِ مُتَعَلِّلاً بِأَنَّهُ لا يُحِسُّ بِجـوع . ثُمَّ قادَتْهُ إلى إِحْدى ٱلْغُرَفِ وَأَشارَتْ إلى سَريرٍ لِيَسْتَريحَ عَلَيْهِ ، فَما دَنا مِنْـهُ حَتَّى قَذَفَها عَلَيْهِ فَٱنْقَلَبَ بِها ، وَٱنْشَقَّتْ أَرْضُ ٱلْغُرْفَةِ وَسَقَطَتْ

فِي ٱلْقَبْوِ . وَٱقْتَرَبَ إِيفان مِنَ ٱلْفُتْحَةِ وَصاحَ قائِلاً :

— أَفي هٰذا ٱلْمَكانِ حَيٌّ ما ؟

سَمِعَ صَوْتَ أَخَوَيْه :

— نَحْنُ هُنا .. الْأَميرُ فيودور وَٱلْأَميرُ فاسيليف .

أَطْلَقَ سَراحَ أَخَوَيْهِ ، وَساروا جَميعاً مُتَوَجِّهينَ إِلى مَمْلَكَةِ أَبيهِمْ ٱلسُّلْطان . وَرَوى كُلٌّ مِنْهُمْ ما حَدَثَ لَهُ مُنْذُ مُغادَرَتِهِ ٱلعاصِمَةَ إِلى ٱلسّاعَةِ ٱلَّتي هُمْ فيها ، وَعَجِبوا لِلْمَقاديرِ ٱلَّتي ٱعْتَرَضَتْهُمْ وَٱلْمَشَقّاتِ ٱلَّتي وَقَفَتْ في وَجْهِهِمْ ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدِ ٱنْتَصَروا في ٱلنِّهايَةِ بِفَضْلِ ٱلشَّجاعَةِ ٱلَّتي تَمَيَّزَ بِها أَخوهُمُ ٱلْأَصْغَر .

الرُّجوعُ إِلى ٱلْمَمْلَكَة

لَمّا دَخَلوا عاصِمَةَ والِدِهِمِ ٱلعَجوزِ عَمَّ ٱلْفَرَحُ أَهْلَها ،

وَاجْتَمَعَ النَّاسُ عَلى جانِبَيِ الطُّرُقِ وَهَتَفوا لَهُمْ ، وأَبْدَوْا إِعْجابَهُمْ بِهِمْ . وكانَ السُّلْطانُ قَدْ دَبَّ الْيَأْسُ في قَلْبِهِ ، وَشَحَّ بَصَرُهُ بِحَيْثُ أَصْبَحَ عاجِزاً عَنِ الرُّؤْيَةِ عَلى بُعْدِ ثَلاثَةِ أَمْتارٍ ، وَانْتابَتْهُ الأَمْراضُ ، وَلا سِيَّما لِغِيابِ أَوْلادِهِ عَنْهُ ، وَانْقِطاعِ أَخْبارِهِمْ . فَما رَآهُمْ مُقْبِلِينَ عَلَيْهِ حَتَّى تَلَقَّاهُمْ بَيْنَ ذِراعَيْهِ ، وَأَعْطاهُ إِيفانُ التُّفَّاحاتِ الثَّلاثَ فَأَكَلَها ، وَسَقاهُ ماءَ الْحَياةِ ، فَاسْتَعادَ عافِيَتَهُ وَشَبابَهُ ، وَأَصْبَحَ في قُوَّةِ أَبْنائِهِ الأُمَراءِ .

بَعْدَ مُرورِ عامَيْنِ أَقْبَلَتِ الأَميرَةُ ذاتُ الْعَيْنَيْنِ الْخَضْراوَيْنِ مِنْ مَمْلَكَتِها بَعْدَ أَنْ نَظَّمَتْ أُمورَها ، وَعَيَّنَتْ حُكّاماً لَها يَضْبُطونَ شُؤُونَها وَيَسْهَرونَ عَلى أَحْوالِها ، وَاصْطَحَبَتْ مَعَها جَماعَةً مِنْ رَفيقاتِها الْمُقاتِلاتِ وَجاءَتْ بِأَحْمالٍ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحِجارَةِ الْكَريمَةِ .

وَٱحْتَفَلَ ٱلْجَمِيعُ بِأَعْظَمِ عُرْسٍ عَرَفَتْهُ سَلْطَنَةُ باتان، زُفَّتْ فيهِ ذاتُ ٱلْعَيْنَيْنِ ٱلْخَضْراوَيْنِ إلى أَشْجَعِ ٱلْبَواسِلِ ٱلْأَميرِ ايفان .

السمكة العادلة

في إحدى الجُزُرِ البَعيدةِ الواقِعَةِ في وَسَطِ المُحيطِ كانَ يَعيشُ صَيّادُ سَمَكٍ عجوزٌ مَعَ زَوْجَتِهِ في كوخٍ حَقيرٍ مِنَ الخَشَبِ وأَغْصانِ الشَّجَرِ . شَدَّ يَوْماً شَبَكَتَهُ لِيَسْحَبَها مِنَ الماءِ فوَجَدَها ثَقيلَةً ، فظَنَّ أنَّها مَليئَةٌ بِالأَسْماكِ، ولٰكِنَّهُ تَعَجَّبَ لَمّا لَمْ يَرَ فيها سِوى سَمَكَةٍ واحِدَةٍ صَغيرَةٍ، غَيْرَ أنَّها كانَتْ غَريبَةَ الشَّكْلِ : جِسْمُها مِنَ الذَّهَبِ الخالِصِ ، وتَتَكَلَّمُ كَما يَتَكَلَّمُ النّاسُ كُلُّهُمْ. فقالَتْ لَهُ راجِيَةً :

ـ لا تَقْتُلْني أيُّها الصَّيّاد ! أَعِدْني إلى البَحْر فأُكافِئْكَ بأَنْ أُحقِّقَ لَكَ كُلَّ ما تَطْلُبُهُ مِنّي .

كانَ ٱلصَّيّادُ ، عَلى فَقْرِهِ ، قانِعاً بِعَيْشِهِ ، راضِياً بِحالَتِهِ ، فَأَعادَها إلى حَيْثُ كانَتْ ، وَلَمْ يَطْلُبْ مِنْها شَيْئاً ، وَعادَ إلى كوخِهِ وَرَوى لِزَوْجَتِهِ كُلَّ ما حَدَثَ لَهُ ، وَما قالَتْهُ لَهُ ٱلسَّمَكَةُ ، فَصاحَتْ بِهِ غاضِبَةً :

— إِنَّكَ لَرَجُلٌ أَحْمَق ! كانَ بَيْنَ يَدَيْكَ ثَرْوَةٌ لا تُقَدَّرُ بِثَمَنٍ فَفَقَدْتَها . كانَ عَلَيْكَ أَنْ تَطْلُبَ مِنْها عَلى أَقَلِّ تَقْديرٍ ، شَيْئاً مِنَ ٱلْخُبْزِ لِأَنَّهُ لَمْ يَبْقَ لَدَيْنا سِوى كِسْراتٍ يابِسَةٍ ، وَلَيْسَ في كيسِنا طَحينٌ نَعْجُنُه ..

ظَلَّتْ طولَ ٱلنَّهارِ تُوَبِّخُهُ ، وَتُسيءُ مُعامَلَتَهُ ، وَتُعَيِّرُهُ بِالْحَماقَةِ ، إلى أَنْ ضَجِرَ مِنْها ، فَذَهَبَ إلى ٱلشّاطِئِ وَصاحَ بِأَعْلى صَوْتِهِ :

— أَيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ٱلصَّغيرَةُ ! أَيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ٱلصَّغيرَةُ ! أَخْرِجي رَأْسَكِ نَحْوي مِنَ ٱلْماءِ ، وَأَصْغي إِلَيَّ !



أبْرَزَتِ ٱلسَّمَكَةُ رَأْسَها بَعْدَ أَنِ ٱقْتَرَبَتْ مِنْهُ وَقالَتْ :

ــ ما تُريدُ أَيُّها ٱلصَّيّادُ ؟

ــ إِنَّ زَوْجَتِي غاضِبَةٌ ، وَتُريدُ مِنْكِ أَنْ تُعْطِيَنا خُبْزاً ..

ــ عُدْ إِلى كوخِكَ تَجِدْ كُلَّ ما تَرْغَبُ فيه ..

ما رَجَعَ إِلى بَيْتِهِ حَتّى ٱسْتَقْبَلَتْهُ زَوْجَتُهُ قائِلَةً :

ــ أَصْبَحَ لَدَيْنا خُبْزٌ كَثيرٌ ، غَيْرَ أَنَّ وِعاءَ ٱلْغَسيلِ قَدِ ٱنْكَسَرَ ، وَلَمْ يَعُدْ في وُسْعِي غَسْلُ ثِيابِنا .. عُدْ إِلى ٱلسَّمَكَةِ وَٱطْلُبْ وِعاءً جَديداً .

عادَ ٱلصَّيّادُ مِنْ حَيْثُ جاءَ ، وَوَقَفَ عَلى شاطِىءِ ٱلْبَحْرِ وَصاحَ بِأَعْلى صَوْتِهِ :

ــ أَيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ٱلصَّغيرَةُ ! أَيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ٱلصَّغيرَةُ !

أَخْرِجي رَأْسَكِ مِنَ ٱلْماءِ وَٱسْمَعي ما أَقولُ لَكِ . إِنَّ زَوْجَتي تُريدُ وِعاءً جَديداً لِغَسْلِ ثِيابِنا .

ظَهَرَتِ ٱلسَّمَكَةُ وَقالَتْ :

ــ عُدْ إِلى بَيْتِكَ تَجِدْ ما تُريدُهُ .

في طَريقِ عَوْدَتِهِ صادَفَ ٱمْرَأَتَهُ تَرْكُضُ لِمُلاقاتِهِ ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قالَتْ لَهُ :

ــ قُلْ لِلسَّمَكَةِ ٱلذَّهَبِيَّةِ أَنْ تَبْنِيَ لَنا بَيْتاً جَديداً ، فَإِنَّ كوخَنا قَدْ تَهَرَّأَ خَشَبُهُ ، وَهُوَ يَئِنُّ في هَبّاتِ الرِّيحِ ، وَقَدْ يَسْقُطُ فَوْقَ رُؤُوسِنا في أَيّامِ ٱلشِّتاءِ ٱلْمُقْبِلِ .

عادَ ٱلصَّيّادُ ٱلْمِسْكينُ إِلى ٱلشّاطِئِ وَصاحَ بِأَعْلى صَوْتِهِ :

ــ أَيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ٱلصَّغيرَةُ ! أَيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ٱلصَّغيرَةُ ! أَخْرِجي رَأْسَكِ مِنَ ٱلْماءِ وَٱسْتَمِعي إِلَيَّ . إِبْني لَنا بَيْتاً في مَكانِ كوخِنا ٱلْمُتَداعي لِئَلّا يَنْهَدِمَ عَلَيْنا ... هٰكَذا

تُرِيدُ زَوْجَتِي .

أَجابَتِ ٱلسَّمَكَةُ ٱلذَّهَبِيَّةُ بَعْدَ أَنِ ٱقْتَرَبَتْ مِنْه :

ـــ لا تَحْزَنْ أَيُّها ٱلصَّيّادُ ٱلطَّيِّب ! عُدْ إِلى بَيْتِكَ وَصَلِّ لِرَبِّكَ فَتَتَحَقَّقْ أُمْنِيَّتُكَ .

ما وَصَلَ إِلى مَوْضِعِ كوخِهِ ٱلحَقِيرِ حَتَّى وَجَدَ عِوَضاً عَنْهُ بَيْتاً جَمِيلَ ٱلْبُنْيـــانِ ، مَدْهونَ ٱلنَّوافِذِ ، مُزَخْرَفَ ٱلْمَدْخَلِ ، فَوَقَفَ عِنْـــدَهُ حائِراً في أَمْرِهِ مُتَسائِلاً في نَفْسِهِ :

ـــ أَهـــذا مَسْكَني ؟ أَيْنَ ذَهَبَ ٱلْكوخ ؟ ما أَجْمَلَ ما أَرى !

وَإِذا بِزَوْجَتِهِ تَخْرُجُ مِنْـــهُ حانِقَةً وَتَنْدَفِعُ نَحْـــوَهُ وَتَقول :

ـــ ما رَأَيْتُ في حَياتي أَحْمَقَ مِنْكَ أَيُّها ٱلْعَجوزُ ٱلْخَرِف !

لا تَعْرِفُ ٱلِاسْتِفادَةَ مِنَ ٱلْفُرْصَةِ ٱلسّانِحَةِ ... أَتَكْتَفي بِطَلَبِ ٱلْبَيْت وَحْدَه ! عُدْ إِلى ٱلسَّمَكَةِ وَقُلْ لَها إِنّي كَرِهْتُ حَياةَ ٱلصَّيّادينَ وَبُؤْسَهُمْ ، وَأُريدُ أَنْ أُصْبِحَ سَيِّدَةً في أَحَدِ ٱلْقُصورِ ، وَأَنْ يَكْثُرَ ٱلْخَدَمُ وَٱلْحَشَمُ حَوْلي ، وَأَتَلَقّى مِنْهُمْ طولَ ٱلنَّهارِ عِباراتِ ٱلْمُجامَلَةِ وَٱلِاحْتِرام .

رَجَعَ ٱلرَّجُلُ ٱلْمِسْكينُ عائِداً مِنْ حَيْثُ أَتى ، وَٱقْتَرَبَ مِنَ ٱلشّاطِىءِ لِلْمَرَّةِ ٱلرّابِعَةِ وَصاح :

ــ أَيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ٱلصَّغيرَة ! أَيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ٱلصَّغيرَة ! أَصْغي إِلَيَّ ! إِنَّ زَوْجَتي تُقْلِقُ راحَتي ، وَتَعْنُفُ في مُعامَلَتي وَلا يُرْضيها إِلّا أَنْ تُصْبِحَ سَيِّدَةً مَسْؤُولَةً عَنْ بَيْتٍ كَبير .

قالَتِ ٱلسَّمَكَةُ وَقَدْ أَبْرَزَتْ رَأْسَها مِنْ تَحْتِ ٱلْماء :

ــ لا بَأْسَ أَيُّها ٱلصَّيّادُ ٱلطَّيِّب ! عُدْ إِلى بَيْتِكَ تَجِدْ

أَنَّ رَغْبَتَها قَدْ تَحَقَّقَت .

عاد إلى زَوْجَتِهِ فَوَجَدَها في بِناءٍ فَخْمٍ مُغَطّى بِٱلْقِرْميدِ ٱلْأَحْمَرِ ، وَمَبْنِيٍّ بِٱلْحَجَرِ ٱلصَّخْـــرِيِّ ٱلمَنْحوتِ . وَرَأى خَدَماً يُسارِعونَ إلى تَلْبِيَةِ أَوامِرِها ، وَطُهاةً يَعْمَلونَ في إِعْدادِ ٱلْأَطْعِمَةِ ٱلشَّهِيَّةِ ، وَزَوْجَتَـهُ تُصْدِرُ ٱلْأَوامِرَ يَميناً وَشِمالاً ، فَقالَ لَها :

— اَلسَّلامُ عَلَيْكِ يا زَوْجَتي ٱلْعَزيزَة !

فَصاحَتْ بِهِ وَكَأَنَّهُ قَدْ صَفَعَها صَفْعَةً مُؤْلِمَةً :

— كَيْفَ تَجْرُؤُ يا هٰذا عَلى إِلْقاءِ مِثْلِ هٰذِهِ ٱلتَّحِيَّةِ عَلَيَّ وَأَنا ٱلمَسْؤُولَةُ عَنْ هٰذا ٱلبَيْتِ ٱلكَبيرِ ، وَصاحِبَةُ ٱلْمَقامِ ٱلرَّفيعِ ؟

ثُمَّ وَجَّهَتِ ٱلكَلامَ إلى خَدَمِها وَقالَتْ :

— خُذوا هٰذا ٱلعَجوزَ ٱلوَقِحَ وَٱجْلِدوهُ جَلْداً مُؤْلِماً لِكَيْ لا يَعودَ إلى وَقاحَتِهِ .

ذَهَبَ بِهِ رِجالُها إلى ساحَةِ ٱلبِناءِ فَضَرَبوهُ بِحَيْثُ أَصْبَحَ عاجِزاً عَنِ ٱلمَسيرِ ، وَحَمَلوهُ إلى غُرْفَةٍ صَغيرَةٍ قُـــرْبَ ٱلمَطْبَخِ لِيَأْكُلَ وَيَنامَ فيها . وَكانوا يَضَعونَ كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَ يَدَيْهِ مِكْنَسَةً وَيَطْلُبونَ مِنْهُ كَنْسَ ٱلسَّاحَةِ ٱلعامَّةِ ، فَإذا تَأَخَّرَ في عَمَلِهِ ، أَوْ تَهاوَنَ ضَرَبوهُ بِعُنْفٍ وَقَسْوَةٍ

وَكانَ يُفَكِّرُ في حالِهِ وَيَتَأَسَّفُ عَلى ماضيهِ ، وَيَثورُ ٱلحِقْـــدُ في صَدْرِهِ عَلى زَوْجَتِهِ ٱلَّتي نَسِيَتْهُ بَعْدَ أَنْ غَمَرَهـا بِٱلمـالِ ، وَرَفَعَ مَقامَها ، وَجَعَلَ مِنْها سَيِّدَةً مُحْتَرَمَةً .

مَرَّتْ أَسابيـعُ وَتَعِبَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ ٱلقِيـامِ بِوَظيفَتِها ٱلجَديدَةِ فَدَعَتْ زَوْجَها إلَيْها وَقالَتْ لَهُ :

ــ أيُّها ٱلعَجوزُ ٱلأَحْمَق ! إذْهَبْ إلى ٱلسَّمَكَةِ وَقُلْ لَها إنّي أُريدُ أنْ أُصْبِحَ مَلِكَةً .

أطاعَ ٱلصَّيّادُ ٱلمِسْكينُ وَتَوَجَّهَ إلى شاطِىءِ ٱلبَحْرِ وَصاحَ بِأَعْلى صَوْتِه :

ــ أيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ! أيَّتُها ٱلسَّمَكَةُ ! أَخْرِجي رَأْسَكِ مِنَ ٱلماءِ وَأَصْغي إلى كَلامي ! أنا لا أُريدُ شَيْئاً ، غَيْرَ أنَّ زَوْجَتي ٱلمُتَعاظِمَةَ تَوَدُّ أنْ تُصْبِحَ مَلِكَةً .

ــ عُدْ مِنْ حَيْثُ أَتَيْتَ فَيَتِمَّ لَها ما تُريد .

ما وَصَلَ ٱلصَّيّادُ إلى مَوْضِعِ ٱلقَصْرِ حَتّى وَجَدَ قَصْراً مَسْقوفاً بِٱلذَّهَبِ ، وَٱلحَرَسُ يَسيرونَ أمامَهُ وَقَدْ تَسَلَّحوا بِٱلسُّيوفِ وَٱلرِّماحِ ، وَٱلجُنودُ في ٱلسَّهْلِ ٱلقَريبِ مِنْهُ يَقومونَ بِتَمارينَ حَرْبِيَّة . وَرَأى زَوْجَتَهُ مُرْتَدِيَةً ثِيابَ ٱلمُلْكِ ،

تَنْظُرُ إلى النّاسِ نِظْرَةَ تعاظُمٍ وكِبْرِياء ..

مَرّتْ أشْهُرٌ وَهِيَ على هذهِ الحالَةِ مِنَ النُّفوذِ، تتَصَرَّفُ في مَمْلَكَتِها كما تُريد. تُذِلُّ مَنْ تشاءُ، وتَرْفَعُ قَدْرَ مَنْ تَشاءُ، إلى أنْ ضَجِرَت يَوْماً مِنْ عَمَلِها، فَدَعَت زَوْجَها إلَيْها وقالَتْ لَهُ:

ـ إذْهَبْ إلى السَّمَكَةِ أيُّها الأبْلَهُ، واطْلُبْ مِنْها ان تجْعَلَ مِنّي إمْبراطورَةً على البِحارِ والمُحيطاتِ والقارّاتِ، فَيَخْضَعَ لإرادَتي المُلوكُ والنّاسُ والحَيوانات بِحَيثُ أُصْبِحُ أعظَمَ مَخْلوقٍ على الأرْض.

رَفَضَ الصَّيّادُ في أوّلِ الأمْرِ، فَهَدَّدَتْهُ بِالضَّرْبِ، ثُمَّ بِقَطْعِ رَأْسِهِ، فَأذْعَنَ لإرادَتِها مُرْغَماً، وذَهَبَ إلى شاطِىءِ البَحْرِ وَصاحَ بِأعْلى صَوْتِهِ.

ـ أيَّتُها السَّمَكَةُ الصَّغيرَة! أيَّتُها السَّمَكَةُ الصَّغيرَة!

أَخْرِجِي رَأْسَكِ مِنَ ٱلْمَاءِ وَأَصْغِي إِلَيَّ .

لَمْ تَظْهَرِ ٱلسَّمَكَةُ ٱلذَّهَبِيَّةُ . فَأَعادَ ٱلنِّداءَ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ . ثُمَّ مَرَّات . فَإِذا بِٱلْبَحْرِ يَثُورُ قاذِفاً عَلى ٱلرِّمالِ أَمْواجاً هائِلَةً . وَتَلاشى ٱلنَّهارُ وَحَلَّ مَكانَهُ ظَلامٌ دامِسٌ ، وَٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّمَكَةُ ٱلذَّهَبِيَّةُ مِنْهُ وَسَأَلَتْهُ عَمَّا يُرِيد . فَذَكَرَ لَها ما تَطْلُبُهُ زَوْجَتُهُ ، فَلَمْ تُجِبْ بِكَلِمَةٍ ، بَلْ ٱرْتَدَّتْ إِلى ٱلْوَراءِ وَغاصَتْ في أَعْماقِ ٱلْبَحْرِ .

لَمَّا عادَ ٱلصَّيَّادُ ٱلْعَجوزُ إِلى ٱلْقَصْرِ لَمْ يَجِدْهُ في مَوْضِعِهِ كَأَنَّهُ قَدْ تَلاشى في ٱلْهَواء . وَرَأَى في مَكانِهِ كوخَهُ ٱلْقَدِيمَ ٱلْمُهْتَرِىءَ ، وَأَبْصَرَ بِزَوْجَتِهِ لابِسَةً ثِيابَها ٱلْمُمَزَّقَة ، وَهِيَ في ٱنْتِظارِهِ عَلى عَتَبَةِ ٱلْباب .

مُنْذُ ذٰلِكَ ٱلْيَوْمِ رَجَعَ ٱلصَّيَّادُ وَزَوْجَتُهُ ٱلطَّمَّاعَةُ إِلى حَياتِهِما ٱلسَّابِقَةِ . يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلى شاطِىءِ ٱلْبَحْرِ ،

وَيَرْمي فيهِ شَبَكَتَهُ . وَقَدْ فَعَلَ ذٰلِكَ مِئاتِ ٱلمَرّاتِ ،
وَما وَجَدَ ، في واحِدَةٍ مِنْها ، أَثَراً لِلسَّمَكَةِ ٱلذَّهَبِيَّةِ
ٱلصَّغيرَةِ .

مؤسسة جواد للطباعة والتصوير تلفون [illegible]
حارة حريك - لبنان





عرب كوميكس
www.arabcomics.net